كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

السنة أولى جذع مشترك فنون / السداسي الأول

مقياس: السينما الصامتة

المحاضرة رقم 03 بعنوان:
" بدايات التجريب في حقب السينما الفرنسية الصامتة "

رغم جهود نخبة من صناع الفيلم الفرنسي الأوائل أمثال: الإخوة لوميير، وجورج ميليس وماكس ليندر، وجاك فدير، وروني كلير وأبل جانس، ولويس فويلاد، فإن النظرية واقعية في السينما عند الأخوين "أوجست ولويس لوميير Auguste et louis Lumière "اعتبرت تجسيدا لأفلام كانت تشخص الحياة على حقيقتها وواقعيتها التي كانت مبادئها الفنية والجمالية من الواقع الذي تسير فيه الأحداث، لذلك يرى المنظر الفرنسي" أندري بزان" أن الواقع السينمائي هو "ليس واقع مادة الموضوع أو واقع التعبير ولكن واقع المكان الذي بدونه لن تكون الصورة المتحركة سينما ".

ورغم التنافس الكبير في الإنتاج الأفلام وتوزيعها وعرضها في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأوربية، كان منتجو الفيلم الفرنسيون من بين السباقين في إطار الابتكار الأسلوبي للفيلم، والهيمنة على

سوق الإنتاج محليا وعالميا، إلا أن هذا الإنتاج كان مصحوبا بإنجازات الأخوين لوميير لعرض الصور المتحركة الأولى أمام جمهور مقابل أجر يدفعه المشاهدون، حيث تم العرض لأول مرة يوم 22 مارس 1895 في اجتماع لجمعية تشجيع الصناعة الوطنية، عندما أقدموا على مواصلة ترويج الكاميرا التي اخترعاها بين الجمعيات الثقافية، وفي 28 ديسمبر 1895 أستقر الأخوين لوميير في قاعة الصالون الهندي في بدروم في مقهى جران كافيه في باريس، حيث قدموا أول عرض رسمي في العالم يحتوي على عرض برنامج لحوالي 10 أفلام للجمهور، مقابل أجر مدفوع وبواسطة جهاز السينماتوغراف الذي كان يتم تشغيله يدويا.

كانت الدهشة تستولي على المشاهدين في الأيام الأولى للسينما أثناء بدء العرض، ومنذ أن جاء قطار الإخوة لوميير اعتبرت بذلك اللحظة التي وجد فيها الإنسان، وسيلة للاستحواذ على الزمن متى أراد وإعادة إنتاجه في شكل واقعي، حينذاك ولدت السينما كفن جمالي جديد وكطريقة جديدة لإعادة تشكيل العالم المرئي، بينما جاءت الأفكار التي أكد عليها الأخوين لوميير لخدمة مبادئ الواقعية في السينما وبأطروحات واقعية، تمثلت في التأكيد على أحقية التصوير في المشاهد الخارجية ذات مناظر طبيعية وتصوير مشاهد نوعية هادفة، فضلا على أن أعمال الإخوة لوميير تمثل عنصر الطبيعة بالتصوير في هواء الطلق وتصوير مشاهد وحوادث آنية في حد ذاتها، فقد صور لويس لوميير وحدات هزلية أخرى في معمله مثل: الحطاب، والحداد، وهدم جدار...إلخ وعالج بشغف الموضوعات التقليدية التي يفضلها الهواة والتي تدور حول متع الحياة العائلية مثل: غذاء الطفل، السمكات الحمراء، وشجار بين الأولاد، والاستحمام في البحر، ولعب الورق، ولعب النرد، وصيد الأربيان 'crevettes.

اهتم صناع الأفلام الأوائل بما يسمى باللقطة المفردة (أو لقطة الأساس) وهذا وفقا لفترات متعاقبة، أي ما قبل 1907 إلى فترتين ثانويتين: 1894-1903/1902 عندما كانت غالبية الأفلام تتكون من لقطة واحدة وكانت مما يمكن أن نسميه الآن تسجيلية، استخدمها الرواد الفرنسيون على أنها أفلام الواقع ذات أسلوب تسجيلي وتوثيقي، بينما يمثل الإخوة لوميير مثالا للاعتماد على فيلم اللقطة الواحدة. وأشهر الأفلام التي

عرضها الأخوان لوميير في ديسمبر 1895 هو فيلم 'وصول القطار إلى محطة سيوتات' وامتداده حوالي خمسين ثانية، حيث أن الكاميرا ثابتة تظهر قطارا يصل إلى المحطة والركاب ينزلون، ويستمر الفيلم إلى أن يخرج غالبيتهم في اللقطة*.

بينما هناك فيلم آخر من إخراج الأخوان لوميير 'خروج العمال من مصانع لوميير' كان له تأثير مرعب أقل على جمهوره، حيث كانت هناك كاميرا في مستوى العين موضوعة بعيدا بما فيه كفاية خلف الحدث، لكن لا تكتفي بإظهار العمل كاملين، بل أيضا تظهر الباب الذي يبدو كأنه باب جراح والذي منه يخرجون. والباب يفتح حتى يخرج شاغلو المبنى والذين يتشتتون على جانبي الصورة الفيلمية، وينتهي الفيلم فجأة عند نقطة يكون فيها العمال جميعا قد ذهبوا، بينما اعتبرت أفلام لوميير من الأفلام التي سحرت الجمهور لا بتصوير مشاهد وأحداث ثابتة، وإنما من خلال تفاصيل عرضية يجد فيها المشاهد الحديث عنها أنها تلفت انتباهه كوجود حركة لأوراق الشجر في الخلفية، وطفل يتناول إفطاره.

إلا أن أفلام الإخوة لوميير اتسمت بوجود السرد القصصي للأحداث أثناء عرضهما لجهاز السينماتوغراف، فنجد فيلم 'الساقي يبلل' عكس معظم أعمال الأخوين لوميير التي تصور الأحداث والتي يمكن أن تقع حتى في غيبة الكاميرا، بحيث نجد هذا الفيلم الشهير يسجل مراحل الحدث خاصة بالصور المتحركة. بساني يقوم برش مرجة خضراء، ولد يخطو على الخرطوم، وقف تدفق الماء، البستاني يحدق متسائلا في فوهة الخرطوم، ولد يرفع قدمه، الماء يستعيد تدفقه ويغمر البستاني الذي يطارد الولد ويمسك به ويضربه، بينما جرى تصوير الفيلم بكاميرا ثابتة، في حين يتجلى الحدث الرئيسي في محاول هروب الولد من المطاردة وخروجه من الصورة الفيلمية والبستاني يلاحقه فنشاهد الشاشة سوداء لمدة ثواني معدودة.

* _ كما تنقسم الأفلام السينمائية إلى أصناف وفق مدة العرض المقدمة للجمهور، فنجد مرحلة الأفلام القصيرة وهي الفترة الممتدة من سنة 1895 إلى 1903، تميزت بأفلام تعتمد لقطة الأساس plan séquenceوالتي تعني التقاط الفيلم دون توقف الكاميرا، نجد ذلك جليا في فيلم خروج العمال من مصانع لوميير، وصول القطار إلى محطة سيوتات، فيلم الساقي يبلل، وجبة طفل للإخوة لوميير، وفيلم قضية دريفيوس سنة 1899 ورحلة إلى القمر le voyage dans la lune للمخرج جورج ميليس سنة 1902 في السينما الفرنسية.

ظهر الفن السينمائي عند الإخوة لوميير على أساس فكرة توثيقية أسست الأسبقية الفرنسية في الصناعة السينمائية العالمية، لكن منافسهما "جورج ميليس" أصبح المنتج البارز في العالم للأفلام الروائية خلال حقبة السينما في بواكرها الأولى، فقد مزج بين الفانتازيا والخيال باعتباره مسرحيا كان يدير مسرح "رو برت أودان" في باريس، حيث بدأ مهمته كساحر يستخدم مصابيح كشافة سحرية وكجزء من تمثيله على مسرح روبرت أودان في باريس.

ويعد ميليس أول من وضع لفيلم السينمائي قصة وسيناريو، وأول من صنع فيلما روائيا، وأول سينمائي homme de cinémaبالتعبير الحديث، أي المخرج والمؤلف، وكان ميليس أول من حرك الكاميرا السينمائية حركة خلاقة، بعد أن كانت تتجمد على حاملها، وأول من حقق الحيل السينمائية والإضاءة الصناعية، إذ لم يكن يميل إلى التسجيل فحسب وإنما كان يمتهن فن الدراما والفانتازيا، وهذا لاشتغاله قبل ذلك بالتمثيل المسرحي وألعاب الخفة.

وفي سنوات العقد الأول من القرن العشرين، أخرج الفرنسي "جورج ميليس" فيلما صامتا تحت عنوان "هاملت أمير الدنمارك" سنة 1908، وفيه مشاهد خرع بصرية خفيفة آنذاك، ويعتبر أول فنان سينمائي يكشف إمكانات السينما في السرد الروائي.

وفي سنة 1911 أصبح شهرت ميليس في العالم تذوي عندما بدأت أفلام السينما في المرحلة الانتقالية في تقديم نوع مختلف من التسلية، ولم تكن سوى أفلام الغرب الأمريكي التي أنتجها ا لإخوة "جاستون ميليس" في استوديوهات تكساس، مما تسبب المنافسون في إفلاس شركته سنة 1913، وهذا لوجود منافسين لأفلام الإخوة لوميير وجورج ميليس، إذ نجد شركة باتيه (التي أسسها شارل باتيه في عام 1896) التي أصبحت واحدة من أهم منتجي الأفلام الفرنسية في الفترة المبركة، وكانت مسئولة أساسا عن الهيمنة الفرنسية على السوق بالنسبة للسينما في بدايتها. فكانت من أهداف شركة باتيه:

- اتباع سياسة تعسفية من التكسب والتوسع، فقد اشترى براءات اختراع الأخوين لوميير مع عام 1902 وشركة ميليس السينمائية قبل نشوب الحرب العالمية الأولى.
- نجاح شركة باتيه في تصنيع المعدات والشرائط الخام ومن ثم إنتاج أفلام في أستوديوهات بقينيست التي كانت أكبر وأفضل الأستوديوهات تجهيزا في عصره.
- اعتبرت شركة باتيه أول من امتهنت نموذج في مجال السينما لمؤسسة تمارس الاحتكار الرأسي الشامل، حيث استطاع باتيه السيطرة على الإنتاج والتوزيع والعرض من خلال بناء وامتلاك دور العرض.
- عرفت شركة باتيه بوصفها الشركة المسيطرة على الصناعة الفيلمية في العالم مع سنوات 1903 إلى 1909.

المكتبة البيبليوغرافية:

*لوي دي جانيتي، فهم السينما، تر: جعفر علي.

*ديفيد روبنسون: تاريخ السينما العالمية 1895 / 1980 ، ترجمة: إبراهيم قنديل.

*جورج سادول، تاريخ السينما في العالم، تر: إبراهيم الكيلاني.